التربية والتعليم ومكانة المعلم

المكان: طهران

الزمان: 1392/2/18ش. 1434/6/27هـ. 2013/5/8

المناسبة: ذكرى استشهاد آية الله مطهري ويوم المعلم

الحضور: حشود غفيرة من المعلمين من مختلف أنحاء البلاد

بسم الله الرحمن الرحيم

نرحّب بكم جميعاً أيها الإخوة والأخوات الأعزاء ممن تفخرون بالعمل في التربية والتعليم في المجتمع الإسلامي، أو الذين ستنخرطون في هذه المهنة في المستقبل إن شاء الله، وللحقّ إنها لمفخرة كبيرة.

ونحيّي ذكرى شهيدنا الكبير المرحوم الشهيد مطهري (رضوان الله تعالى عليه) وكذلك شهداء التربية والتعليم – من معلمين وطلاب – وهم من رسم واحدة من أجمل وأعظم مشاهد الدفاع المقدس، ونرجو أن تكون يد الله سبحانه وتعالى وحمايته على رؤوسكم دوماً أيها المعلمون الأعزاء والمسؤولون في التربية والتعليم، وأن تزداد هذه الشجرة المثمرة المباركة بركة على البلاد وعلى الشعب يوماً بعد يوم.

أولاً هذه الجلسة من أجل تكريم المعلمين واحترامهم. ما يجب ذكره في باب التربية والتعليم – سواء لجنة التعليم أو صفوف التعليم المنظمة في كل أنحاء البلاد – غالباً ما يقال للمسؤولين والعاملين في هذه الأجهزة. وما يحظى بالدرجة الأولى من الأهمية بالنسبة لنا اليوم هو إبراز الاحترام القلبي الذي يليق بمقام التربية والتعليم. الأساس هو أن تحظى مهنة التعليم في المجتمع الإسلامي بالمنزلة اللائقة. من قصر النظر جداً أن يعتبر المرءُ مهنة التعليم في عداد سائر المهن الدارجة في الحياة، ومجرد وسيلة للعيش يستطيع الإنسان الحصول من خلالها على ما يؤمّن معيشته، ويكسب بها الرزق ويمشّي أمور حياته. هذا شيء لا حقيقة له، فالأمر ليس كذلك، والتعليم ليس مهنة عادية إلى جانب سائر المهن، بل هو أرفع منها بكثير.

إذا تنبّهنا لحقيقة التربية والتعليم ومكانة المعلم، فيجب حقاً تشبيه المعلم بالشخص الذي يصوغ الجوهرة وينحتها ويعطيها شكلها ويمنحها قيمتها. وهذه الجوهرة الثمينة هي هؤلاء الأطفال.. أطفالنا الذين يشكلون الأجيال القادمة بكل خصائصها ومميزاتها. أنتم الذين تمنحون لهذه الشخصيات شكلها وتصوغونها. ليس الأمر مجرد أن تذكروا بعض الأشياء والكلمات في الصف ويتعلمها منكم التلميذ، بل كل سلوككم وحركاتكم وسكناتكم وطباعكم وأخلاقكم تؤثر بصورة مباشرة في هؤلاء المتلقين المستلمين، وتصوغ شخصياتهم وكيانهم. وما تتركونه من معلومات في أذهانهم في إطار التعليم من أخلد الحقائق التي تبقى في ذهن الإنسان. بعد خمسين عاماً وستين عاماً تبقى الكثير من التفاصيل التي قالها المعلم للطالب في ذهن الطالب، وتبقى في الإنسان الكثير من الخصائص التي ينقلها المعلم إلى الطالب بسلوكه وأخلاقه وطريقة كلامه وأسلوب تعامله. وقد يفطن الإنسان أحياناً لذلك وقد لا يفطن. كلنا نسير عن غير وعي في الطريق الذي رسم لنا المعلمون جزءاً كبيراً منه، وأودعوه في قرارات أنفسنا.. هذا شيء على جانب كبير من الأهمية.

إذا أراد بلد تحقيق الشموخ والرفاه وثروة وكسب العلم والتفوّق العلمي، وإذا أراد أن يكون أفراد شعبه أناساً شجعاناً أحراراً فاهمين عقلاء مفكرين، فعليه توفير هذه البنية التحتية الأصلية.. بُنية تحتية تتمثل بالتعليم في فترة الطفولة والحداثة. هذا هو شأن المعلم. لذلك ينبغي احترام المعلم احتراماً بالغاً. ويجب إنفاق الكثير من الوقت لتوفير الاستعداد اللازم لدى المعلم. ويتعيّن الاستثمار كثيراً لأجل تهيئة الآليات التي تجعل التربية والتعليم مؤثراً وسائراً في اتجاهه الصحيح. وهذا هو السبب في كل تشديدنا طوال السنوات الماضية على التحوّل الجذري في التربية والتعليم، والحمد لله فإن ميثاق هذا التحوّل اليوم بيد التربية والتعليم، والميثاق هو في الحقيقة بمثابة خارطة الطريق التي تمّ رسمها وتعيينها. التحوّل في الإنسان، والتغيير الصحيح في القلوب والمعتقدات والقناعات والحركات والأفعال والأخلاق وما إلى ذلك بحاجة إلى بُنية تحتية رصينة.. وهذه البنية الرصينة هي التربية والتعليم.

يوم انبثقت التربية والتعليم في بلادنا بشكلها الجديد، انبثقت على أساس ركائز فكرية وعقيدية أخرى، وقد سرنا طوال عشرات الأعوام – منذ بداية ظهور التربية والتعليم الحديث في بلادنا – على هذه الركائز، وتحرّكنا في الواقع على تلك السكك، والتي لم تكن بالتالي سككاً صحيحة. وهذا الميثاق يجب أن يسير بنا نحو الأهداف الإسلامية.. يجب أن يسير بالمجتمع على أساس أسلوب الحياة الإسلامي الحقيقي. ويجب أن يستطيع تكوين الخصال الإنسانية السامية فينا. نشاهد في الوقت الحاضر بعض النواقص في أنفسنا وفي أخلاقنا وفي سلوكنا، ويجب رفع هذه النواقص. المواهب البشرية في المجتمع الإيراني مواهب هائلة وكبيرة، ويجب أن تجد هذه المواهب الفرصة للبروز والسير بالاتجاه الصحيح. ميثاق التحوّل هذا يتحرّك في هذا الاتجاه ويهتمّ بهذا المنحى.

أشاروا هنا إلى البُنى التحتية لميثاق التحوّل. وأقول هنا إن ميثاق التحوّل نصّ يجب أن يطبّق عملياً، ولكن ينبغي أن لا يكون هذا التطبيق بشكل متسرّع على الإطلاق، بل بتدبّر وتأمّل وملاحظة صحيحة لكل الجوانب والأمور، فالعملية عملية عميقة. والأعمال العميقة ليست قصيرة الأمد، ولا تؤتي أكلها بسرعة، بل هي طويلة الأمد وتؤتي ثمارها على المدى البعيد. وإذا تمّ تطبيقها وتنفيذها بنحو صائب فستكون باقية خالدة مثمرة، وإذا نُفّذت بتسرّع وعجلة ومن دون تدقيق فلن تؤتي الثمار اللازمة. يقول: «و مجتني الثمرة لغير وقت إيناعها كالزارع بغير أرضه».. إذا قطفتم الثمرة قبل أن تنضج فلن تحصلوا في الواقع على شيء، وستذهب جهودكم هدراً. دعوا الثمرة تنضج وتينع ثم اقطفوها لتتمتعوا بكل منافعها.

ربما كان من الضروري تشكيل حلقات بحثية متعددة تعمل على رسم سبل تنفيذية وعملانية للأجزاء المختلفة من ميثاق التحوّل هذا، ليتمّ بذلك وضع هذه السكك بصورة صحيحة حقاً، ثم يمكن للقطار السير على هذه السكك. وطبعاً من اللازم على الحكومة وعلى مجلس الشورى الإسلامي أن يتأمّلوا ويتدبّروا بنحو جادّ لدعم التربية والتعليم مالياً وللتقدم بهذا المشروع إلى الأمام. لا يمكن ترك التربية والتعليم لحاله، وعدم تعضيده ودعمه بالشكل اللازم، ومن ثمّ نتوقّع مع ذلك أن يشهد التقدم الذي يروقنا.

والحمد لله فقد تمّ خلال هذه الأعوام إنجاز أعمال جيدة جداً – ولديّ تقارير ذلك – وما تمّ فعله وإنجازه جيد، لكن الأشياء التي لم تنجز ويجب أن تنجز، وإذا لم نشمّر اليوم عن سواعدنا لها سيفوتنا الوقت بالتأكيد، لا تزال كثيرة جداً،

فهي بدورها تمثل لائحة طويلة ينبغي على المسؤولين المحترمين في التربية والتعليم – سواء في اللجان أو في الصفوف – أن يتنبّهوا لها إن شاء الله.

وقضية جامعة المعلمين بدورها على جانب كبير من الأهمية، وهي من جملة الأمور التي ينبغي الاهتمام بتنظيمها وبرمجتها الداخلية اهتماماً جاداً. إذا لم تكن شخصية المعلم نفسه قد بُنيت ونمت فلن يستطيع إعطاء شيء لمتعلم والمتلقّي منه. وهنا تُبنى شخصية المعلمين. ومع أن هذه الجامعة تمّ التحدّث عنها كتابع للتربية والتعليم، لكن التعليم العالي يجب أن يقدم كل أنواع الدعم الممكن لمثل هذه الجامعات. هذه أعمال وأمور يجب إنجازها في إطار التربية والتعليم.

ليست التربية والتعليم جهازاً أو مؤسسة عادية إلى جانب سائر الأجهزة. بل هي مركز وقطب أساسي مهم. ولكم أن تشبّهوه بمحرّك القطار أو مخزن الذخائر، على كل حال، هو قطب يختلف عن الأجهزة التنفيذية الأخرى. الأعمال العميقة والجذرية في هذه الوزارة بالمقدار الذي لا يمكن مشاهدة نظير له في سائر الوزارات، وحتى في الوزارات الثقافية المشابهة لا يوجد هذا القدر من الحساسية والدقة اللازمة في هذه المنظومة. أيّاً كان، التربية والتعليم منظومة على جانب هائل من الأهمية.

يتعيّن علينا تقديم الشكر لمعلمينا الأعزاء الذين اختاروا هذه المهنة، وحملوا على عاتقهم هذه الجهود والصعاب. ربما كان هناك أشخاص كان بوسعهم اختيار أعمال ومهن أخرى فيها عائدات ودخول أكبر، وتوفّر لأصحابها مواقع سياسية واجتماعية أفضل، لكنهم أوقفوا أنفسهم على هذه المنظومة، وهذا فعل قيّم وثمين جداً. وطوال هذه الأعوام وقف المعلمون دوماً دعامة لمصالح الثورة، ومن الأمثلة على ذلك قضية الدفاع المقدس والحرب المفروضة، وقد أشرنا إلى المعلمين الشهداء والطلاب من التربية والتعليم، وثمة نماذج أخرى في أماكن شتى. الكثيرون كانت لديهم خططهم للمعلمين وللمدارس وسعوا إلى أهداف سياسية معينة، لكن المعلمين وقفوا وثبتوا. وهذا كله حسنات عند الله سبحانه وتعالى. وهذه كلها أعمال مؤثرة ومهمة قد لا تظهر في أعين البعض في كثير من الأحيان ولا تبدو أهميتها وعظمتها، لكنها غير غائبة عن أعين الكرام الكاتبين.

ومسألة الكتب المدرسية أيضاً على جانب كبير من الأهمية. يجب أن تتطوّر مضامين هذه الكتب بحسب الحاجة وبشكل مستمر. يجب أن تكون في كل التربية والتعليم أجهزة فطنة واعية تراقب حالات التطور القائمة على أساس ميثاق التحوّل وتنظر أين مواطن الإشكال والخلل، وما هي التجارب غير الموفقة، فتبادر إلى إصلاحها على الفور – لا بدّ من عين يقظة ناظرة – وتدرس وتنظر في الاحتياجات الخاصة بالمواد والكتب الدراسية. منذ سنوات ونحن ندرج بعض الأمور في الكتب الدراسية ويأتي البعض فيخرجوها ويأتي البعض فيضيفوها. يجب أن ننظر ما هو اللازم من المعارف الإلهية والإسلامية والمعارف المدنية والمعارف الصانعة للحضارة والمعارف الصانعة للإنسان، والمعارف التي تجعل الشعب شامخاً مرفوع الرأس متقدماً رائداً سبّاقاً، وإذا لم تكن موجودة في كتبنا وجب أن ندرجها فيها. وما هي الأمور التي تقع في الجانب المعاكس مما يخدّر الشعوب ويضلها، فنحذفها. وما هي الأمور التي تناسب الأجيال والجنسين فندرجها. مثلاً قد تكون هناك أمور لازمة وضرورية في الكتب المدرسية الخاصة بالفتيات في ما يتعلق بربوبية البيت وتربية الأولاد وما إلى ذلك، وقد تكون هناك أشياء أخرى لازمة في كتب البنين مما يتعلق بقضايا العمل والحياة وأمور من هذا القبيل..

هذه أمور تستدعي مراقبة ورصداً دائماً، ولا بدّ من النهوض بمهام المراقبة والرصد هذه. على كل حال، الأمر على جانب كبير من الأهمية.

و قد رفعنا في هذا العام شعار الملحمة السياسية والملحمة الاقتصادية. وكلا المسألتين من المسائل التي يمكن لكل واحد من أبناء الشعب أن يمارس فيها دوره، وما لم يمارس جميع أبناء الشعب أدوارهم فلن تتكوّن الملحمة. وطبعاً قد يكون البعض يعانون من مشكلات ومعيقات، والبعض قد يكونوا كسالى، والبعض قد لا يتوفر فيهم الشوق والاندفاع اللازم، وحين يكون قاطبة الشعب وعمومهم الغالب في كل أنحاء البلاد ذوي نظرات للأفق المشرق، وذوي حوافز لازمة وكافية للحركة والعمل، فإن الملحمة سوف تتكوّن وتظهر، وإن شاء الله وبفضل من الله ستتحقق هذه الملحمة. وللتربية والتعليم في هذا المضمار دوره. قد يكون ثمة طالب لم يصل بعد إلى السنّ القانونية للتصويت لكن بوسعه التأثير في عائلته للخوض في هذه الساحة والنهوض بهذه المسؤولية. هذا العدد الكبير من المعلمين في كل أنحاء البلاد بمستطاعهم التأثير وممارسة دورهم في قضية الانتخابات – وهي بيت القصيد من الملحمة السياسية.. ونقصد بها الانتخابات المقبلة – وأيضاً في الملحمة الاقتصادية وهي حالة طويلة الأمد.

بلدنا وشعبنا الكبير بما له من أهداف ومطامح يحتاج إلى صناعة ملاحم في المجالات والميادين المختلفة. علينا التقدّم إلى الأمام على شكل قفزات. أيها الإخوة والأخوات الأعزاء، لقد تخلف هذا الشعب طوال فترات القمع المديدة – وترافق هذا القمع بعد ذلك بتدخّل الأجانب وهيمنتهم السياسية والاقتصادية والثقافية – على الرغم من كل مواهبه وقابلياته، لقد تخلفنا عن ركب العلم، وتأخرنا عن قافلة البناء، وتأخرنا في مجال الاقتصاد، وعانينا من أنواع الآفات الثقافية والمعرفية. وقد وفرت الثورة هذه الفرصة للشعب الإيراني كي يعوّض هذا التأخّر. وتلاحظون خلال العقود الثلاثة الماضية من الثورة، كيف أبدى الشعب الإيراني عن نفسه المهارة، وكم تقدم، وكم عرض مواهبه وطاقاته على الجميع في كل أرجاء الأرض. تقدم الشعب الإيراني طوال هذه العقود الثلاثة لا يتناسب وثلاثين عاماً من الزمن، ومن النماذج على ذلك حالات التقدم العلمي التي لم يبق معها أمام الأوساط العالمية من محيص سوى الاعتراف بها، وقد اعترفوا بها. سرعة تقدمنا العلمي أكثر من المتوسط العالمي بثلاث عشرة مرة.. فهل هذا بالهزل؟ ورغم كل هذه السرعة في التقدم لا نزال متأخرين علمياً. ولكم أن تلاحظوا كم كنا متأخرين في الماضي! مع أن سرعتنا الآن أكثر من عشرة أضعاف السرعة العالمية لكننا لا نزال متأخرين. إذن، يجب الحفاظ على هذه السرعة. هذا جانب يعترف به الأعداء، وثمة جوانب يجب على الأعداء أن لا يعترفوا بها، وهم لا يعترفون بها. وكذلك الحال بالنسبة للمجالات السياسية، والميادين الاجتماعية، وفي مجال بناء البلد، وكذا الحال على صعيد الوعي والبصيرة العامة.. هذه أمور لا يرى الأعداء من مصلحتهم ذكرها في إعلامهم وتصريحاتهم، حذراً من تشجيع شعبنا على التقدم في هذا المجال. وفي خصوص الاقتدار الوطني والسمعة الدولية أيضاً يجب الحفاظ على سرعة التقدّم بنفس المستوى والوتيرة. وكل هذه الحالات من التقدّم جاءت ببركة الثورة وفضلها. ولكن على الرغم من ذلك لا تزال هذه الحالات من التقدم قليلة، ويجب مضاعفتها وزيادتها.

إذا حافظ الشعب الإيراني على هذه السرعة في التقدم – سواء على الصعيد العلمي أو في المجال السياسي أو على المستوى الاجتماعي أو في المضمار الثقافي والمعرفي – فلا مراء أنه لن يمرّ وقت طويل حتى يتبوّأ مكانته اللائقة به، وينال

ما يجدر به من المنزلة. ويعود جانب كبير من هذا الشيء إلى التربية والتعليم، ويعود جزء مهم منه إلى مدراء البلاد في المجالات التنفيذية. هذا ما يجعل قضايا البلاد حساسة من وجهة نظر أيّ إنسان ذي بصيرة، وهذا ما يحتاج إلى ملحمة. من دون ملحمة لن تحصل هذه القفزات. حين تكون هناك ملحمة وحماس واندفاع يمكن تصور القفزات، ويمكن افتراض حصول قفزات. وقد خبُرنا ذلك في فترة الدفاع المقدس. خبُرناه على أيّ صعيد من الصعد تمّ فيه إشراك الجماهير. ويجب إن شاء الله أن يرى الشعب الإيراني هذا الشيء في مجال الملحمة السياسية والملحمة الاقتصادية، وجزء كبير من هذا يقع على عواتقكم أيها المعلمون الأعزاء.

نتمنّى أن يوفقكم الله سبحانه وتعالى، ويُرضي الأرواح المطهرة لشهدائنا الأبرار والروح الطاهرة لإمامنا الخميني الجليل عنكم جميعاً وعنّا. ويهدينا ويأخذ بأيدينا إن شاء الله في النهوض بالواجبات المهمة التي تقع على عواتقنا في شتى قضايا البلاد.

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته